حديث لإذاعة هولندا (العمود التاسع)
المستوطنات وعملية السلام

بسم الله الرحمن الرحيم

تذكرنا محاولات المستوطنين الجارية لتخريب عملية السلام هذه الايام بتلك المحاولات التي صاحبي جولات الوزير بيكر المكوكية بعد اعلان الرئيس بوش مبادرته للسلام في الشرق الاوسط في اذار عام 1991.

لقد كانت حكومة الليكود انذاك تدرك ان استمرار الاستيطان هو الذي سيجعل الفلسطينيين يحجمون عن المشاركة في مسيرة التسوية ، فيكونون بذلك هم الملامون 0 وجاءت تصريحات الوزير بيكر ، وهو في اول جولاته حول المستوطنات وتأكيد الموقف الامريكي منها بانها ((غير شرعية.. وانها عقبة في طريق السلام)). كانت هذه التصريحات تطمئن الجانب الفلسطيني .. من الناحية النظرية . ولكن انعكاسها العملي على الارض كان يتمثل ، كان يتمثل بازدياد حدة الا ستيطان وباستفحال سياسة البلدوزر . فاصبح توقيت انشاء المستوطنات الجديدة يترافق مع بداية كل جولة من جولات الوزيربيكر المكوكية . بل وتجاوزت تلك الجولات تحت شعار يدعو الجرافات بان تكون اسرع من طائرة بيكر .

ومن هنا فلم يكن في غير محله ذلك الا صرار الذي اكدته قرارات المجلسين الوطني الفلسطيني والمركزي الفسطيني المنعقدين قبل مؤتمر مدريد مباشرة حول اولوية وقف الاستيطان ، تمهيدا لتفكيك المستوطنات باعتبارها ((غير شرعية)) كما عبر ذلك الوزير بيكر عن نفسه . فقد اكد المجلس الوطني الفلسطيني في دورته العشرين المنعقدة في الجزائر في سبتمبر 1991 على ضرورة تحقيق الاسس لانجاح المساعي لعقد مؤتمر السلام . ومن هذه الاسس جاء في بيان المجلس ما يؤكد ضرورة وقف الاستيطان في الارض المحتلة ، بما فيها القدس الشريف كضرورة لا غنى عنها لبدء عملية السلام ، ومع وجوب توفير ضمانات دولية لتامين ذلك)).

وانطلاقا من الاسس فقد حدد نفس البيان اهداف عملية السلام حيث جاء فيها ما نصه :

((سادسا: توفير الضمانات الكاملة للعمل على ازالة المستوطنات القائمة ، باعتبارها غير شرعية ، وفقا لقرارات الشرعية الدولية بما فيها قرار مجلس الامن رقم 465)).

وجاء التاكيد على قرارات المجلس الوطني الفلسطيني في القرار الذي اصدره المجلس المركزي الفلسطيني المنعقد في 16 اكتوبر 1991 حيث نص على ((ضمان وقف الاستيطان مع بداية اعمال المؤتمر .. والتمسك خلال مجمل مجمل العملية السياسية بالا هداف والا سس التي حددها المجلس الوطني الفلسطيني))0

وجاء تعليق بن أهرون امين عام مكتب رئيس الوزراء الاسرائيلي انذاك اسحق شامير - بقوله ..

اذا قيل ان المستوطنات عقبة امام الحل الوسط الاقليمي .. فهذا صحيح . واذا قيل بأن المستوطنات عقبة امام الادارة الذاتية فهذا صحيح .

واذا قيل ان المستوطنات عقبة امام دولة فلسطينية .. فهذا اكثر من صحيح .

اما اذا قيل ان المستوطنات عقبة امام السلام.. فانه ليس ثمة كذب اكثر من ذلك.

ويعزز ابن أهرون نظريته بقوله :

انني اعتقد انه اذا اقتنع العرب باننا هنا الى الابد ، وليس فقط في حدود 1967 بل في ارض اسرائيل كلها. فان ذلك سيقنعهم ايضا بضرورة التوصل الى نمط مقبول من التعايش معنا .

هذه هي العقلية التي تسود المستوطنين في ظل حكومة رابين. وهي التي تشكل صواعق التفجير المتسلسل في الالغام المزروعة في قلب عملية السلام.

وتظهر جليا في هذه الايام، كيف يحاول غلاة الصهاينة توظيف المستوطنات والمستوطنين لتدمير فكرة السلام ، سواء على مستوى المفاوضات التي تجري في طابا من اجل ترتيبان الانسحاب الاسرائيلي من قطاع غزة ومنطقة اريحا او على مستوى الاعتداءات الهمجية والاجرامية الجارية على الارض ، والتي يستبيح فيها المستوطنون المدججون بالسلاح اهلنا العزل ، في الارض المحتلة ، خاصة بعد التوقيع على اتفاق اعلان المبادىء في البيت الابيض.

لقد ظهرت جليا لوفدنا المفاوض في طابا تلك الثغرات والتناقضات المزروعة في صلب اعلان المبادىء. وبدأ واضحا ان المستوطنات تشكل اخطر الالغام في قلب عملية السلام. فتحت شعار امن المستوطنات في قطاع غزة ومنطقة اريحا ، كما جاء في الاتفاق ، يطالب المفاوض الاسرائيلي توضيع قواتهم العسكرية ، ليس في المستوطنات وحولها فحسب ، وانما في المزارع والمصانع وفي الطرق المؤدية الى المستوطنات والخارجة منها. وليس هذا فقط وانما يعتبرون ان حقهم ، حسب الاتفاق ، توضيع قواتهم في كل الطرق والمدن والاسواق والمعابر والمنافذ التي قد يستخدمها الاسرائيليون ، اضافة الى سيطرتهم الكاملة على المعابر وكذلك على شاطيء البحر والحدود تحت شعار ((مسؤوليتهم عن الامن الخارجي)). من الواضح ان المفاوض الاسرائيلي يقرأ الاتفاق بنصه الذي وقع في اوسلو بالاحرف الاولى ، دون ان يلتفت بشكل جدي الى ما يعنيه الاتفاق الاكثر اهمية ، وهو اعتراف الحكومة الاسرائيلية بمنظمة التحرير الفلسطينية ممثلا للشعب الفلسطيني بأسره ، وان تنفيذ اتفاقية اعلان المبادىء مع المنظمة يختلف جوهريا عن تنفيذها مع وفد فلسطيني يمثل فقط شعبنا في الارض المحتلة. ومن هنا كان تصدي وفدنا المفاوض ، منطلقا من القراءة الفلسطينية التي تشطب كل التناقضات والثغرات المزروعة في صلب اعلان المبادىء ، لصالح انجاح عملية السلام. فالانسحاب من قطاع غزة ومنطقة اريحا وتسليمها لمنظمة التحرير الفلسطينية لتقيم عليها السلطة الوطنية الفلسطينية ، يختلف جذريا عن مفهوم النص الذي ، وان ذكر الانسحاب ، فانه يعيد الاحتلال عبر حق الجيش الاسرائيلي بالتحرك بحرية في كل المناطق. اضافة الى ما ذكرناه حول امن المستوطنات باعتبارها ((مسمار جحا)) الذي يعلق عليه الصهاينة طموح استمرار وهم ((ارض الميعاد)) .

واذا كان الخلاف التفاوضي في وجهة النظر حول المستوطنات ، قد وصل الى فهم مبسط ، في حال التمسك بعملية السلام من الطرفين ، بان على المستوطنين ان يرحلوا مع انسحاب الجيش الاسرائيلي من قطاع غزة ومنطقة اريحا . واذا كان الاتفاق (المجحف) قد ترك قضية المستوطنات للمرحلة النهائية. فليس من حق المستوطنين نسف عملية السلام بالغاء فكرة الانسحاب من اساسها . وان الفهم الفلسطيني للانسحاب من غزة واريحا هو انه تحرير للارض فيهما ، بشكل كامل ، من قوات الاحتلال الاسرائيلية التي تخرج الى غير رجعة ، وكخطوة اولى على طريق الانسحاب الكامل من باقي الضفة الغربية بما فيها القدس ولتصبح السلطة الوطنية الفلسطينية خطوة على طريق اقامة الدولة الفلسطينية المستقلة وعاصمتها القدس الشريف..

ان الاعتداءات الهمجية والاجرامية التي يشنها المستوطنون ضد شعبنا في الارض المحتلة ، تفرض معالجة موضوع المستوطنات والمستوطنين في اسرع وقت ممكن ، ودون انتظار الى المرحلة النهائية كما ينص اتفاق اعلان المبادىء. ونحن نعرف جيدا ان اعلان المبادىء في حد ذاته ينص انه يمكن الدخول في المرحلة النهائية في اسرع وقت ممكن بما لا يتجاوز بداية السنة الثالثة ، من هنا يمكن استثناء موضوع

الدخول في حل قضية المستوطنات مباشرة دون الانتظار الى مطلع السنة الثالثة. واذا علمنا ان معظم المستوطنين الذين يعيشون في الارض فسادا هم من اتباع غوش ايمونيم ، والليكوديين والذين ركبتهم الصرعة العنصرية فهاجروا لتحقيق وهم اعادة بناء الهيكل.. فانهم يشكلون الان بتصرفاتهم التي تهدد عملية السلام والاستقرار تناقضا مع مصالح الادراة الامريكية الراهنة ، والتي تختلف عن مرحلة ادارات الحرب الباردة واستراتيجية التوتر الدائم. لقد بدأ بعض المستوطنين يدركون جيدا المستقبل الذي ينتظرهم وينتظر مستوطناتهم ، فبدأوا يعرضون بيع المستوطنات بما فيها من انشاءات ، وهذه الظاهرة أن دلت على شيء فانما تدل على ان السياسة الامريكية الراهنة تستطيع ان تلعب دورا اساسيا في ازالة الغام المستوطنات من قلب عملية السلام بتشجيع المستوطنين على الرحيل.

ان ازالة المستوطنات تعتبر مهمة امريكية باعتبارعا الراعي الاول لعملية السلام الرامي الى تحقيق الاستقرار في المنطقة.

ان السكوت على ما يجري في هذه الايام على الاراضي الفلسطينية المحتلة من انتهاكات لحقوق الانسان ، ومن اعاثة فساد وقتل وحرق وتدمير للفلسطينيين وممتلكاتهم ، على ايدي عصابات المستوطنين المدججين بالسلاح تحت سمع وبصر حكومة رابين ، ان دل على شيء فانما يدل على هشاشة مشروع السلام وخداع نصوصه الغامضة لصالح الظلم على حساب العدالة ولصالح الظلام على حساب النور. ففي الوقت الذي تصر فيه الادارة الامريكية والحكومة الاسرائيلية على ضرورة ادانة مقتل مستوطن واحد ، يسقط الشهداء من الاطفال والشيوخ والنساء من اهلنا بالعشرات دون ان يتحرك وازع من اخلاق في الادارة الامريكية او الحكومة الا سرائيلية ليدين هذه الجرائم التي ترتكبها عصابات المستوطنين الصهاينة.

ان هذا الانحياز في الموقف لصالح المستوطنين وممارستهم الهمجية ، انما تشكل السلاح المدمر الذي به تبرر عملية قتل فكرة السلام في مهدها. ان حالة التفجير المتسلسل التي تمثلها المستوطنات والمستوطنين كألغام موقوتة ما تنفجر الواحدة منها لأي سبب من الاسباب حتى تتلاحق الأحداث ، وما يحملها من اعتداءات وردود فعل لا تناسب بأي شكل من الاشكال مع حجم الصاعق الاول. انها عملية مدروسة ، وخطة مدبرة.. وما لم تنزع صواعقها بشكل مباشر ومبكر فان على عملية السلام برمتها العوض.

لقد قرر شعبنا الفلسطيني في كل اماكن تواجده الاستمرار في الحفاظ على خطه النضالي لتحقيق اهدافه في الحرية والاستقلال. وهو يدرك ان محاولات المستوطنين تخريب عملية السلام انما هي استمرار للسياسة الصهيونية العنصرية التي بدأت بالاستيطان تحت شعار وهمي ثبت كذبه ، شعار ((أرض بلا شعب لشعب بلا ارض)) وها هو هذا الشعار يدفن في تراب الارض المحررة تحت اقدام الثوار والمنتفضين، الذين فرضوا على الخارطة اعتراف ليس العالم فقط بحقهم وبالشعب وبوجوده ، وانما على اعدائهم، الذين رفعوا ذلك الشعار منذ القدم كشعار استراتيجي ، بأن هذا الشعب الفلسطيني موجود على الخارطة. لقد اعترفت الحكومة الاسرائيلية بوجود الشعب الفلسطيني وبمنظمة التحرير الفلسطينية ممثلا للشعب الفلسطيني.

ان هذا الواقع الجديد يفتح الطريق امام المستوطنين ليختاروا اين يجب ان يرحلوا. واذا كانت موازين القوى الراهنة تفرض قيام دولتين في ارض مقدسة واحدة - ارض فلسطين وعاصمتين في قدس مقدسة واحدة. فأن مستقبل السلام الحقيقي العادل والدائم ستؤكده الدولة الفلسطينية الديمقراطية التي يعيش فيها جميع المواطنين في حرية وتسامح واخاء دون تمييز بسبب اللون أو الدين أو العقيدة.

وشكرا